بسم الله الرحمن الرحيم

أهـم ما يحُول دون سقوط الإنسان وهـلاک المـجتمع (المحاضرة6)

الزمان: 05/محرم الحرام/1442 - 25/آب/2020

المكان: طهران، موكب "ميثاق با شهدا" (العهد مع الشهداء)

المجتمع الذي تُفتقد فيه المواساة يُوصِله الفكرُ الليبرالي إلى الحضيض/ لا يُبسط العدل في مجتمع أفراده أَشِحَّة/ يهبط البعض بالمواساة إلى مستوى الصدقة، ولكنها أعلى من ذلك

علينا أن نخصص جزءًا من وقتنا "لمواجهة مكر أنفسنا"

لا بد أنكم ملتفتون إلى أن الإنسان كائن في غاية التعقيد، وبارع في التسويغ [لأفعاله]، وله نفس ماكرة، وهو يسعى على الدوام لخداع ذاته أو غيره عن وعي أو غير وعي. وإن على كل امرئ أن يخصص وقتًا من حياته لمواجهة مكر نفسه. فلا أحد في مأمن من نفسه الأمّارة بالسوء، فهناك مسوغات جيدة للكثير من مساوئ الناس وإنهم ليُخفون مساوئهم حتى عن أنفسهم. وإن معرفة النفس هي على جانب من التعقيد والصعوبة والقيمة حتى عُدَّت مساوية لمعرفة الله عز وجل: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه» (غرر الحكم/ ص٥٨٨).

"محاسبة النفس" و"الاستغفار والتضرع" سبيلان مهمتان لمعرفة النفس ومَكرها

علينا أن نبالغ في محاسبة أنفسنا. فإن مما رُوي عن أهل البيت(ع) هو قولهم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْم» (الكافي/ ج٢/ ص٤٥٣). وأضأل قسم من محاسبة النفس هو سؤالنا أنفسَنا: «ماذا فعلتُ؟» لكن القسم الأهم جدًا منه، والذي لا يتسنى للمرء أن يجيب عليه بهذه البساطة، هو: «لماذا فعلتُ ما فعلتُ؟» وإن محاسبة النفس هي إحدى السبل لمعرفة النفس والوقوف على مكرها. والسبيل الأخرى لذلك هي الاستغفار والتضرع المتواصلَين. أقولها بكل بساطة ومن دون أدنى تكلف: لقد أوصونا بأن نقف على أعتاب ربنا في الأسحار قائلين ثلاثمائة مرة: إلهي، لقد ارتكبت حماقة؛ إلهي، «العفو...». ويتبادر إلى أذهان الكثيرين الاستفهام القائل: «وما الذي صنعتُه يا ترى [لأسأل الله كل هذا العفو]؟» فلنفرض أن جميع أفعالي كانت بذيئة، لكن هل ارتكبتُ ثلاثمائة خطيئة [في اليوم الواحد] يا ترى لكي أسأل الله كل هذا «العفو»؟ عليك أن تفتش عن أنه: ما السبب الذي جعلَهم(ع) يوصوننا بهذا؟ رُوي عن رسول الله(ص) أنه كان يستغفر الله تعالى مائة مرة في اليوم والليلة على الأقل؛ «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى أَسْتَغْفِرُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» (جامع الأخبار/ ص٥٧).

علـى كل شـخص، وإن لم يعـثر في أعمالـه عـلى معصيـة، أن يخصـص في منهاجـه وقتًـا يتوجـه فيـه إلى ربـه بالاسـتغفار، فيخاطبـه: «إلهـي، لقـد ارتكبـتُ حماقـة!» فيتبـادر إلى ذهنـه تسـاؤل مـن أنـه: «ومـاذا صنعـتُ كي أعتـذر؟!» وهـذا التسـاؤل هـو بدايـة طريـق معرفـة النفـس واتّقـاء مكرهـا.

في وسع الإنسان أن يفعل الخير انطلاقًا من دوافعه وصفاته السيئة

بطبيعـة الحال لا الديـن مُعقّـد ولا المعرفـة الدينيـة معقـدة. فمتـى مـا رأيـت الديـن قـد تعقَّـد وصار بحاجـة إلى تبـادل الـكلام والحـوار فاعلـم أن االتعقيـد مـن الإنسـان نفسـه. ففـي وسـع البـشر أن يأتـوا بفعـال خـيّرة انطلاقًـا مـن دوافعهـم وصفاتهـم السـيئة؛ كأن يعطـوا الأولويـة لأفعـالِ خـيرٍ ليـس لهـا الأولويـة ويُعفـوا أنفُسَـهم مـن غيرهـا بالقـول: «لقـد قمـتُ بعمـل خـيّر!» في حـين أنهـم قـد تركـوا فعـل خـيرٍ لـه الأولويـة لصعوبتـه عليهـم. إن باسـتطاعة الإنسـان التلاعـب بـأي مفهـوم دينـي. فأكـثر مفاهيـم الديـن أهميـة هـو مفهـوم الولايـة والولائيـة، أو - عـلى رأي بعـض التوحيديـين المتطرفـين - مفهـوم التوحيـد؛ ألم يفصـل التكفيريـون والوهابيـون رؤوس الأبريـاء عـن أجسـادهم باسـم التوحيـد؟! ولنتنـاول الولايـة؛ أليـس ثمـة في آخـر الزمـان مـن الولائيـن ممـن سـيتخذ الولائيـة هـذه أداة بيـد أهوائـه فيقـف بوجـه الـولي؟ أوَلـم يقـل الإمـام الرضـا(ع): «إِنَّ مِمَّـنْ يَنْتَحِـلُ مَوَدَّتَنَـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ مَـنْ هُـوَ أَشَـدُّ فِتْنَـةً عَـلَى شِـيعَتِنَا مِـنَ الدَّجَّـال؟!» (وسـائل الشـيعة/ ج١٦/ ص١٧٩). ألا وإن الأخـلاق ليسـت بالـشيء السـيّئ، لكـن البعـض يتخذهـا مستمسَـكًا للخـروج عـلى الديـن. كـما يتمسـك غيرهـم بالعـدل فيحـارب التقـوى والولايـة ومفاهيـم أخـرى. وهـل تـلاوة القـرآن شيء سـيّئ؟ وأي شيء عندنـا أعـز مـن القـرآن الكريـم؟ لكنـه جـاء في الخـبر أنـه: «رُبَّ تَـالٍ لِلْقُـرْآنِ وَالْقُـرْآنُ يَلْعَنُـه» (وسـائل الشـيعة/ ج٤/ ص٢٤٩).

علينا أن نحدد تكليفنا في أنّ الوقتَ الحالي هو أوانُ إنجازِ أي عمل صالح؟

النفس الإنسانية ماكرة. وطالما بقي هذا التعقيد في روح الإنسان فلن تذر الامتحاناتُ الإلهية الناسَ حتى تُمَحّصهم وتعرف صدقهم. فعلى المرء في أي عمل خيّرٍ يهُمُّ بفعله أو قولٍ صالح يريد قوله أن يرجع إلى نفسه، ويلقي نظرة، ويقلّب الأمرَ ظهرًا لبطن؛ من جهة الدافع من وراء هذا المفهوم الخيّر، وأسلوب ارتباطه به، ولوازمه؛ فينظر إن كان قد راعى لوازمه أم لم يراعها؟ كي لا يتحول هذا العمل الصالح إلى مصدر لتحقيق الربح لنفسه! الإنسان كائن معقد. وإن من دواعي مثل هذه الحوارات والنقاشات والتأملات وإقامة مثل هذه المجالس - التي هي مجالس فكر - هو الوقوف أمام خداع النفس ليعرف المرء الوقت المناسب للقيام بكل عمل خيّر، وهذا أمر في منتهى الأهمية. ذات مرة كان أحدهم متحيّرًا بين بضعة أمور ويقول: من أين لي أن أعرف ما هو تكليفي الآن؟ قلت له: إنك تطرح أكبر معضلة يواجهها كبار العرفاء، أوَتظن أنك ستحصل على الجواب بهذه السهولة! أتتصوّر أنك ستجيب على سؤالك هذا ببضع تحليلات وحسابات متداولة؟ ما الذي على المرء صنعه لمعرفة تكليفه في أنه: ما العمل الصالح الذي يتوجب عليه الآن القيام به من بين عدة أعمال صالحة؟

ليست الأمور كلها واضحة، ولذا نحن بحاجة في كل لحظة إلى هدى الله تعالى

أُنبّه الشباب والأحداث إلى أنه: لا تتخيلوا أبدًا أنه بمجرد أن أصبحتم صالحين ستتوضح لكم الأمور قاطبة؛ فلن يعمل العلماء، مثلاً، على تزويدك بلائحة ما يجب عليك القيام به من الصباح حتى المساء، ثم يعطونك علامة القبول في الامتحان! أهو درس رياضيات، أو جغرافيا، أو تاريخ في مدرسة ليكون كل شيء واضحًا؟! لو علّموك الكتاب (القرآن الكريم) كله فستكون للتَوّ بحاجة إلى شيء آخر هو «الحكمة»؛ وهي أن تعرف أنت ما عليك فعله! الحكمة لا تأتي من صفحات الكتاب.. إنك بحاجة إلى فرقان وبصيرة. الإنسان لم يخلقه الله عز وجل بحيث يزوّده أنبياءُ الله وأولياؤه بمنهاج فيعمل هو بموجبه. الطيارون مثلاً لديهم قائمة بالإجراءات التي عليهم مراجعتها وتنفيذها واحدًا واحدًا لدى إقلاع الطائرة وهبوطها، وواجبهم معلوم في كل الأحوال. أما التديّن فليس هو بأن يزوّدوك بقائمة من التعليمات والإجراءات لتنفّذها، بل عليك أنت لوحدك أن تحدد المصاديق للكثير من واجباتك. والأمر يعتمد على ابتكارك ونيّتك بأنه: كم على الله أن يوحي إليك ما تصنع؟

ولا أريد أن أُصَعِّب الأمر، فإن كان المرء سليم الطَوِيّة، وتحرّى الدقة، واستغفر ربه، وحاسب نفسه، وتوكل على الله، وتوسل به، ولم يُخفِ مرضًا من أمراض نفسه عمدًا، وكان نقيًّا فسيهديه الله تعالى سواء السبيل ويأخذ بيده. إنك تقول لربك في صلاتك في كل مرة: «اِهْدِنا الصِّراطَ المُستَقيم»؛ فليست القضية أن يكون الله تبارك وتعالى قد هداك مُسبقاً ثم تخاطبه أنت: «أنا سأقرأ القرآن بنفسي وأنفّذ تعاليمه، شكرًا جزيلًا! تفضل أنت ومارس مهامّك، فأنا لم أعد بحاجة إليك!» كلا، بل نحن محتاجون في كل لحظة إلى هداية الله سبحانه. فلنحذر أن نتلاعب بالصلاة، وبالقرآن، وبالأخلاق، وبالعدالة، وبالولاية. فإن النفس الإنسانية معقدة وماكرة. هذه هي المقدمة الأولى.

موضوع الساعة الذي نتناوله هو: ارتباط المؤمنين وتعاطيهم فيما بينهم

سنتحدث حول موضوع واحد من جهتين: الأولى هي أهمية الموضوع بذاته ومنزلته من الدين، والثانية هي تناسبه مع زماننا؛ وهو أنه: أوانُ ماذا الآن؟ وأيّ الأمور هو أهم؟ وعلى أي موضوع يجب أن نؤكد أكثر في الوقت الحاضر؟ «العالِم بِزَمَانِهِ لا تَهجُمُ عَلَيهِ اللوابِس» (الكافي/ ج١/ ص٢٧)؛ أي إن الذي لا يعرف زمانه يزداد وقوعه في الأخطاء. لكن ما الذي يحدد: أي زمنٍ نحن فيه؟ هنا ينبغي أن يكون لدينا أُسس؛ أسس دينية، وعقلية، وأسس ترتبط بعلم الإنسان، والاجتماع، والتاريخ وأنه في أي مرحلة من التاريخ نحن. إن خطةً استراتيجية صحيحة من شأنها أن تنقذ الفرد والمجتمع. فلو أنك قمت بأعمال الخير جميعًا لكن ليس في وقتها فلن ينفعك أي منها. فإنّ نفسَك اللعوب، الأمّارة بالسوء، الماكرة ذاتها تعمل على إفسادك من خلال أعمال الخير هذه بالذات. نحن نتناول موضوعًا هو الآن موضوع الساعة؛ وهو يتصل بارتباط المؤمنين فيما بينهم، وأسلوب تعاطيهم مع بعضهم البعض، وإيثار غيرهم من المؤمنين على أنفسهم؛ وهذا يتصل بموضوع عدم البُخل. ويشمل نطاق بحثنا مواضيع من قبيل: الإنفاق، والزكاة، والمواساة، والإيثار، والتعاون، والأخوّة، والأواصر بين المؤمنين.

لتحقق الولائية هناك امتحان عظيم هو الصلة بين الولائيين

ما مدى أولوية هذا الموضوع الآن؟ أهو الأهم الآن أم غيره؟ بصريح الروايات وبحسب الكثير من الآيات القرآنية فإن موضوع الولاية هو أهم المواضيع، لكن لو طلب إليّ اليوم أن أتحدث عن الولاية لقلتُ: الحمد لله إن هيبة الولاية وجدواها وحقيقتها باتت اليوم راسخة في نفوس أفراد مجتمعنا المؤمن على أقل تقدير، وإن أكثر ما نحن بحاجة إليه اليوم بخصوص الولاية هو علاقة الولائيين العرْضية فيما بينهم، لا علاقتنا الطولية مع إمام عصرنا(عج). فالولاية على نوعَين: ولاية طُولِية، وولاية عرْضية؛ فالولاية الطولية هي اتّباع الولائيين لإمامهم(ع)، أما الولاية العرضية فهي تحدد الصلة بين الولائيين. وهاهنا يكمن النقص الذي نعانيه في الوقت الحاضر، وهذا هو النقص الذي يتوجب علينا إصلاحه. يقول البعض: «إنْ يأمرني الولي بالأمر الفلاني فسأمتثل»، وهؤلاء هم حقًّا ولائيون، لكن سلوكهم مع باقي الولائيين ليس على ما يرام. كيف ينبغي أن تكون أواصر الولائيين فيما بينهم؟ ليس من المفترض أن تُصدَر الأوامر تلو الأخرى في هذا الصدد. فثمة امتحان عظيم لتحقق الولائية هو «الصلة بين الولائيين». لا أدري إن كنا نجحنا في هذا الامتحان العظيم أو لا؟ ما زالت هذه هي مشكلتنا. فإنْ كانت السيول والزلازل قد أقحمَتْنا في تحَدٍّ وكان الولائيون سباقين في هذا المضمار فإنما هو تمرين لهذا الميدان، والإجابة الصحيحة لهذا الامتحان بالذات، وهو «كيف تكون أواصر الولائيين فيما بينهم؟» في تصوري إن علاقة الولائيين فيما بينهم ينبغي أن تكون أمتَن، بل أمتن بكثير مما هي عليه الآن. فأهل البيت(ع)، انطلاقًا مما في أيدينا من الأحاديث، يتوقعون منا أكثر من هذا بكثير؛ فنحن إلى الآن لم نَرقَ إلى ما يتوقعه أهل البيت(ع) منا.

معرفة العدو مهمة، لكن أعداءنا اليوم قد فضحوا أنفسهم

معرفة الزمان هي أن نعرف: في أي زمان نحن اليوم؟ تجاه أي شيء علينا اليوم أن نكون أكثر حساسية؟ على سبيل المثال، جهاد الأعداء أمر مهم، ومعرفة العدو موضوع في غاية الأهمية. في مجالس محرم قبل خمسة عشر أو ستة عشر عامًا كان موضوع بحثي يدور كله حول معرفة العدو لأن الناس كانوا قد نسوا أن لنا عدوًّا. لكن عِداء أمريكا والصهيونية والاستكبار بات الآن مكشوفًا إلى درجة أن كل من يريد اليوم مناهضة الثورة الإسلامية بات يستجدي على أعتاب آل سعود. فهل يتوجب عليَّ، والحال هذه، أن أقنع الناس بأن أمريكا وآل سعود أعداء؟ أيُّ أحمق لا يدري أن أمريكا دنيئة؟

الحمد لله أن أعداءنا هم على جانب من الإجرام بحيث فضحوا هم أنفسَهم. بالطبع هذا لا يعني أنه ليس لنا الآن أعداء، بل إن لنا أعداءً ونحن في حرب معهم.

عهد المطالبة بالعدالة قائم دومًا، لكن "عهد الحديث عن المطالبة بالعدالة" قد وَلّى

طرحتُ في الليلة الماضية موضوعًا أساء البعضُ فهمَه. قال لي أحدهم: «ألا تريد الحديث حول المطالبة بالعدالة؟» فأجبته: «كلا، فزمان المطالبة بالعدالة قد وَلّى». بالطبع حين قلتُ إن «عهد المطالبة بالعدالة قد وَلّى» فهو من باب أني لا أريد أن أجعل موضوع محاضراتي المطالبة بالعدالة، وليس أن أدّعي أن عهد المطالبة بالعدالة قد وَلّى مطلقًا. لسنا الآن بحاجة إلى الترويج للمطالبة بالعدالة بين الناس، بل إنه أوان تطبيق العدالة؛ كما تقوم السلطة القضائية الآن بتطبيقها. حتى العام الماضي كنا نقول للسلطة القضائية: «إنكم تُلقون القبض على المجرم، لكن ماذا تصنعون بمن لا يؤدي واجبَه؟» وقد وجّهنا مناشدات في هذا الخصوص. فأجاب رئيس السلطة القضائية الموقر: «سنتصدى من الآن فصاعدًا لترك أداء الواجب أيضاً، أي سنحاكم كل من لا يعمل». على أن العدل لا يُبسَط عن طريق السلطة القضائية فحسب، بل إن على مجلس الشورى الإسلامي، وحكومة الجمهورية الإسلامية أيضاً أن يعملا على بسط العدل. إن عجلة المطالبة بالعدالة تدور، وإن اهتمام الجماهير بالعدالة عالٍ. فما الداعي إلى دفع شيء عجلتُه تدور؟ عهدُ المطالبة بالعدالة قائم دومًا، لكن عهد الحديث عن المطالبة بالعدالة قد وَلّى. لقد ذكرتُ قبل شهر في حوار مع الموقع الالكتروني لسماحة ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي (دام ظله): إخفاقاتنا السابقة في مجال العدالة تعود إلى أن مستوى المطالبة بالعدالة كان منخفضًا وكان لا بد أن يرتفع، ولقد ارتفع الآن ولله الحمد. فالمطالبة بالعدالة لا تعرف النهاية! هناك بضعة أنواع من التيارات المطالبة بالعدالة، كما هو الحال بالنسبة إلى التيارات الأخلاقية والمعنوية والولائية. الولائيون، على سبيل المثال، أنواع: فالولائيون الذين لا شأن لهم بالسياسة ومقارعة الاستكبار، والولائيون الذين يتعاطون السياسة ومقارعة الاستكبار. وكذا الأمر بالنسبة للمطالبين بالعدالة؛ فهناك المجرَّدون عن التقوى والولائية، وهناك المتقون الولائيون. فإن المطالبة بالعدالة بعيدًا عن التقوى أمر يسير؛ كمن يسحق كرامة الناس - التي هي أهم من الكعبة المشَرَّفة - بذريعة المطالبة بالعدالة.

ما ينبغي تدريب جنود صاحب الزمان(ع) عليه ليس العدالة، الأولوية اليوم للمواساة

الموضوع الذي أراه أشد ضرورة من الدعوة إلى المطالبة بالعدالة هو المواساة؛ إنه موضوع استعداد المرء لغض الطرف عن ممتلكاته. هذا ما علينا أن نُروّج له اليوم. وهل يقود طرح هذا الموضوع إلى ممارسة ضغط على المسؤولين أو لا؟ أجل يقود. إننا نعُد قائد الثورة الإمام الخامنئي (دام ظله) أعلى من أن يكون أسوة في بسط العدالة، إننا نراه أسوة في تطبيق المواساة؛ فإن امتناعه عن أكل معظم الفواكه الباهظة الثمن حتى قبل انتصار الثورة، حين لم تكن له مسؤولية، هو فوق العدالة، إنها المواساة. البعض يترجم المواساة بـ«الإعانة على خلفية الإيمان»، لكنها فوق ذلك. المواساة تعني أنه لا يحق لك أن تعيش أفضل من أخيك، حتى في خَلوَتك! فكم من مسؤولي الدولة يَحذُون حذو القائد (حفظه الله) والإمام(ره) في قضية المواساة؟! إن ما له الأولوية اليوم هو موضوع المواساة. إني أخاطبكم أنتم أيها المؤمنون، يا من تلطمون الصدور على أبي عبد الله الحسين(ع). أنتم تجتمعون الآن في خيمة أبي عبد الله الحسين(ع)، لقد جئتم إلى معسكر صاحب العصر والزمان أرواحنا له الفداء. وإن هذا الجيش، باعتقادنا، وحدة عسكرية تحت قيادة صاحب الزمان(ع). إن ما ينبغي تدريب جندي صاحب الزمان(ع) عليه ليس تطبيق العدالة، بل يجب أن يقال له: «لا يكُن طعامُك غير الخبز اليابس! أجاهزٌ أنت لهذا المشهد أم لا؟» إننا نتحدث الآن عن هذا الجانب من القضية، وهو: «ما هو واجبنا نحن أبناء الشعب؟» أننا لو اجتنَبنا «البُخل» لحدثَت في حياتنا تطوّرات مُذهلة، وإن البُخل حين يُنبَذ ويُدان في ثقافة المجتمع فلن يبقى للحيف والضيم موطئ قدَم على الإطلاق.

ليست "المواساة" تصدُّقًا، إنها نمط حياة/ امتحاناتنا تشير إلى ضرورة أن ننهج ثقافة المواساة

إذن أحد مواضيع مجلسنا هذا هو أنه: زمان أي شيء هو زماننا الحالي؟ اليوم يجب أن نخاطب المسؤول الذي يسعى لخدمة الضعفاء بالقول: «تعال أنت وانهج نهج المواساة في عيشك.. عِش حياةً أكثر زهدًا». أساسًا، الذي يتولّى مسؤولية لماذا يُمنَح راتبًا إذا كان هو متمكّنًا ماليًّا؟ ألَم يُخرِج أمير المؤمنين(ع) كيس مؤونته للناس مُخبرًا إياهم أن: هذا ليس من بيت المال، بل من مالي الخاص؟! إننا عندما نتّجه صوب المواساة في حدود تسلُّم الرواتب فإن أنواع السرقة ستنتهي هي الأخرى كتحصيل حاصل، وسيكون تطبيق العدالة «أي توفير الإمكانيات للجميع بالتساوي وبحسب القابليات» من المُسَلّمات. القضية في الوقت الحاضر هي قضية المواساة. وليست المواساة تصدُّقًا، إنها نمط حياة. ثقافة المواساة ستغير نمط حياة المسؤولين أكثر من باقي أفراد الشعب. لماذا يجب أن نتبنّى اليوم ثقافة المواساة؟ في المجتمع الذي تُفتقد فيه المواساة يحصد الفكرُ الليبرالي الأصوات في الانتخابات ويجُرّ البلد إلى الحضيض، أما إذا طغت عليه ثقافة المواساة فلن يكون لذوي المنحى الليبرالي موطئ قدم فيه، فما بالك بفوزهم في الانتخابات. إننا نطالب بثقافة المواساة هذه، ولا شك أنه سيكون لها أثر سياسي أيضًا. هذا بالإضافة إلى أن امتحاناتنا تشير إلى ضرورة أن ننهج ثقافة المواساة، وإن ألوان الأذى التي طالت الجماهير تؤكد ضرورة هذا الموضوع أيضًا.

الإصرار على مقارنة مفهوم بآخر هو لمواجهة مكر النفس

وبمعزل عن أن زماننا الحالي هو زمان أي شيء؟ لا بد من القول، في القسم الثاني من المحاضرة: المفاهيم، بحد ذاتها، يمكن مقارنة بعضها ببعض. يقول البعض: لماذا كل هذا الإصرار على مقارنة المفهوم بالمفهوم الآخر؟ الله عز وجل في كتابه العزيز يقارن أحيانًا بين عملَين صالحَين. كما تكرر في الأحاديث أيضًا قياس عمل صالح بآخر مرارًا. إن الإنسان ليخرُج بهذه المقارنات بنتائج مهمة، وإنه بهذه المقارنات تحديدًا نستطيع مواجهة مَكر النفس. الإمام الباقر(ع)، في ما روي عنه، يقيس الولاية بالمناسك العبادية الأخرى ويصرح بأنه ما من عمل يوازي الولاية: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ عَلَى الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالوَلَايَةِ، وَلَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالوَلَايَة» (الكافي/ ج٢/ ص١٨). وسبب أفضلية الولاية هو أن الولي هو الذي يطبّق العدل والكثير من الأمور الأخرى.

الشُحّ، من زاويةٍ من الزوايا، هو أهم مشاكل الإنسان والمجتمع البشري

يروى أن أمير المؤمنين علي(ع) بعث إلى رجل بهدية فقال رجل لأمير المؤمنين(ع): «لماذا بعثت إليه بهذه الهدية؟» على أن الأخير صاغ كلامه بطريقة جميلة؛ فبيّن مثلًا أن الرجل لا يستحق منك كل هذه الهدية فلماذا تبعثر مالك هدرًا ...الخ. فاستنكر عليه الإمام(ع) ذلك بأنني أعطيه من مالي، فلماذا هذا البخل منك؟! «عن أبي عبد الله(ع) أنّ أمير المؤمنين(ع) بعثَ إلى رجل بخمسة أوساق من تَمْر البُغَيبِغَة [منطقة]... فقال رجلٌ لأمير المؤمنين(ع): والله ما سألكَ فلان، ولقد كان يُجزِئُه من الخمسة الأوساق وسق واحد! فقال له أمير المؤمنين(ع): لا كَثّرَ اللهُ في المؤمنين ضَرْبَك، أُعطي أنا وتبخلُ أنتَ!» (الكافي/ ج٤/ ص٢٢-٢٣). فمعزل عن أنه يمكن القول: «أي موضوع نتناول في زماننا هذا؟» قد يكون بالإمكان أيضًا أن نطرح السؤال هكذا: «أي الأشياء هو الأهم ذاتًا؟» إن أهم مشاكل الإنسان والمجتمع البشري، من زاوية من الزوايا، هو الشُحّ والبخل والإمساك والتحفظ. وأين تكمن أهميته؟ تكمن في أن استئصاله سيمنع ترسخ الثقافة المنحطة للحضارة الغربية الخاوية المتآكلة في مجتمعنا. ولقد استطاعت بعض مظاهر المواساة في أيام الكورونا هذه أن ترفع رأس شعبنا عاليًا.

الشح أسوأ حتى من الظلم

بمعزل عن موضوع الزمان، فلننظر ما هي منزلة الإمساك في الدين؟ لقد دارت بداية بحثنا حول أن نبي الله آدم(ع) كان قد سقط حين لم يرغب في التخلي عن ممتلكاته. وإني أرى أن المواساة، في عملية تربية الإنسان، لها الأولوية على العدالة، حتى إذا وضعنا مسألة الزمان الحاضر جانبًا. وسأتلو على مسامعكم في هذا الصدد حديثًا عن أمير المؤمنين(ع) يبيّن أن الشح شر من الظلم. يقول البعض: «لماذا تقارن بين المفاهيم؟» وأريد أن أنقل لكم هنا نموذجًا مما جاء في الروايات من المقارنات. رُوي عن الإمام الباقر(ع): «أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ(ع) سَمِعَ رَجُلًا يَقُول: إِنَّ الشَّحِيحَ أَعذَرُ مِنَ الظَّالِمِ» لأن الشحيح لا يُؤذي أحدًا أما الظالم فيؤذي الناس، ولهذا فهو أسوأ. والحقيقة أن هذا الشخص قد قارن بين الشحيح والظالم. وقد يتبادر إلى أذهاننا الشيء نفسه، لكن لننظر بماذا أجابه الإمام علي(ع)؟

«فَقَالَ لَهُ(ع): كَذَبْتَ» أنتَ مخطئ! «إِنَّ الظَّالِمَ قَدْ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ وَيَرُدُّ الظُّلَامَةَ عَلَى أَهْلِهَا»؛ أي من الممكن أن يتوب الظالم من ظُلمه ويكُفَّ عنه، ثم قد يُصلِح ما فعلَه. فإن للظُّلم آثارًا قد تدفع المرء إلى الندم على فعله وإن قُبحَه ليس أشد من الشُحّ. ثم يقول(ع): «وَالشَّحِيحُ إِذَا شَحَّ مَنَعَ الزَّكَاةَ وَالصَّدَقَةَ وَصِلَةَ الرَّحِمِ وَإِقْرَاءَ الضَّيْفِ وَالنَّفَقَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَبْوَابَ الْبِرِّ وَحَرَامٌ عَلَى الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَهَا شَحِيح» (من لا يحضره الفقيه/ ج٢/ ص٦٣).

لا يُبسط العدل في مجتمع أفراده أَشِحَّة

قد نقول نحن: البخيل لا يفعل شيئًا ذا بال، كل ما هنالك أنه لا يبذل المال، وهذا ليس بالأمر السيّئ جدًا، أما من يمارس الظلم ففعله أشنع بكثير! لكن لا بد من الالتفات إلى أن أمير المؤمنين(ع) لا يقصد: «اتركوا الظالم!» بل القصد، في الواقع، هو أن من السهل في المجتمع الإيقاع بالظالم ومؤاخذته، ومن اليسير رفع الظُلم عن المجتمع، أما الشُحّ فهو «أم الفساد»! إن المجتمع الذي يكون جميع أفراده بخلاء سوف يعُمّ فيه ظلمٌ لا يستطيع أحدٌ منعَه، حتى علي بن أبي طالب(ع)! المجتمع الذي سُلِّم لأمير المؤمنين(ع) كان مجتمعًا طُبِّع أفرادُه على الشُحّ وجُعِلوا سُجناءه وأذِلّاءَه.. كان أمير المؤمنين(ع) في قمة العدالة لكن أفراد ذاك المجتمع لم ينصروه، بل تركوه وحيدًا حتى مات غمًّا من ظُلم رعيّته! لماذا يرى أميرُ المؤمنين(ع) أن الشُحَّ أسوأ؟ قد لا تكون في أيدينا، أنا وأنت، حِيلة فلا نظلم، لكن هل نحن أَشِحّة أو لا؟ فإن كنا أشحة فلسنا جديرين ببسط العدل. لن تُبسط العدالة في مجتمع نحن أشحة فيه. الذين في مقدورهم بسط العدل في المجتمع هم أهل المواساة والإيثار. إذا أردتُ أن أربّي أولادي فسأُقيم تربيتهم على ركيزة «إزالة الشح» من أنفسهم، وحينئذ لن يمارسوا الظلم أيضًا. سأقيمها على الإيثار، لا على الإنصاف والعدالة. فإن أقمتُها على الإيثار، فسيلتزمون بالعدل والإنصاف أيضًا؛ إذ سيكون هذا تحصيل حاصل.

يَستخلص البعض من نهج البلاغة أن «العدل هو الأساس في الحكم» ولا يستطيع تبويب ما استخلصَه! والحال أننا هنا لا نمارس الحكم، بل نربّي النفوس. إننا نتجاذب مع بعضنا أطراف الحديث. إنّ أعدلَ نظام حُكم وأشدّها انتهاجًا للعدل لا ينجح وسطَ رعيّة تفشّت فيهم ثقافة الشُحّ! والنموذج هو حُكم علي بن أبي طالب(ع)؛ فقد كان ذروةَ العدالة، لكن بين أناس ابتُلوا بأنفُسٍ شُحّ! فلنقتلع هذا الشُح ليَظهر صاحبُ الزمان(عج) ويقيم دولته العادلة.

يا صاحب الزمان، كم ترى فينا من البخل فلا تقبلنا؟

ليلة عاشوراء هي ليلة قَدْرنا، الليلة التي يحدَّد فيها قدْرُنا، وإلى أي مدى نحن أنصار صاحب الزمان(ع) وحسينِ زماننا؟ يابن الحسن، يا صاحب الزمان، إننا مجتمعون في مخيّمك.. نتوسل إليك.. لم نأت لحضور مراسيم رسمية.. إننا مكروبون! فمتى إذن تختارنا لصُحبتك؟ لو كنتَ اخترتَنا لظهرتَ من غَيبتك. كم ترى فينا من البخل؟ كم تلمس فينا من الإمساك فلا تقبلنا؟ أي شيء نحن غير جاهزين للتضحية به في سبيلك ونحن أنفسنا لا ندري؟

يقوم بعض الخواص والساسة مقام "مِفَكّ البراغي!" لسلطة إمام الأمة

يقوم بعض نُخب المجتمع والخواص والساسة، مقام «مِفَك البراغي!» أي يقومون بدور المُضعِف لسلطة إمام الأمة. فانظروا كم «مِفَك براغٍ» لدينا الآن في زماننا؟ ولأذكر لكم مثالًا. أول شهيدِ الاغتيالات في الجمهورية الإسلامية كان «الشهيد المشير قَرَني» من الجيش؛ أي إن الجيش كان قد قدم أول شهداء الاغتيالات، وهذا فَخر أبدي للجيش وكل أفراده. لكن ما الذي جعل الشهيد المشير قَرَني على هذه الدرجة من الغُربة في أيامنا هذه بحيث إن أغلب شبابنا غير مُطّلع على هذا الموضوع؟ السبب هو إن الماكنة الإعلامية في هذا البلد، ولمدة أربعين عامًا، كانت في الغالب في قبضة المتغرّبين والليبراليين الكثيري الصخب والدعاوَى، وأمثال هؤلاء لا يُسَرّون أبدًا بأن ترفعوا من شأن الشهيد قَرَني. لقد أرغمَ التيارُ الليبرالي المتغرّب الشهيدَ قَرَني، الذي كان قائد أركان الجيش في حينها، على الاستقالة، وألزَمَه السيدُ بازركان منزلَه، خلافًا لتوجيهات الإمام الراحل(ره)، ثم تم اغتياله بعد استقالته! وكان، رحمَه الله، أول من اغتيل وسُقي كأس الشهادة على يد «المنافقين» (زمرة «مجاهدي خلق!»). كان السيد بازركان يقول في زمرة مجاهدي خلق: «إنهم أبنائي!» والإمام الراحل(ره) أيضًا قال: «هؤلاء الإرهابيون هم أبناء السيد بازركان». والآن نشاهد اسم الأب الروحي لقاتلي الشهيد العزيز قَرَني، أي المرحوم بازركان، يُكتَب على جدران العاصمة طهران! أي إن مجلس محافظة طهران قرّر أن يسمي أحد شوارع طهران باسم «بازركان». فلتدَعوا وصمة العار هذه تعلو جباه المتغرّبين إلى الأبد!

بازركان، أنموذج المُضْعِف لولاية الفقيه

لماذا أنا أضرب من حركة «نهضت آزادي» (نهضة الحرية) وبازركان مثلًا؟ لأني أريد أن أبيّن من خلال ذلك النمط الأنيق والمرتَّب جدًّا للعامل المُضْعِف للولاية والثورة. ولأن بازركان هو النموذج البارز للعامل المُضعِف لولاية الفقيه في زمان الإمام الراحل(ره)، واليوم أنتم تشاهدون بأُمّ أعينكم الذين يُقَوّون هذا العامل المُضعف للولاية. الإمام الخميني(ره) كان قد كتب إلى وزير الداخلية في حينه حول «نهضت آزادي» (أي حزب السيد بازركان) ما نصه: «هناك حول ما يسمى بـ»نهضت آزادي» مواضيع جمة تتطلب مناقشتها ساعات مطوّلة. لكن ما ينبغي قوله من باب الإجمال: إن ملف هذه الحركة وأداءها إبان الحكومة المؤقتة في أوائل عهد انتصار الثورة يُثبت أن هذه الحركة هي من الأنصار الأشدّاء لتبعية دولة إيران لأمريكا، وهي لم تَألُ جهدًا في هذا المجال... إن حركة «نهضت آزادي» ليست مؤهَّلة لأي دور تنفيذي، أو تشريعي، أو قضائي، وإن ضررها - على اعتبار تظاهرها بالإسلام، وأنها ستعمل عبر هذا السلاح على حَرْف شبابنا الأعزة، وما يمكن أن تتسبب به من فساد كبير من خلال تدخّلاتها السلبية في تفسير القرآن الكريم والسُنّة الشريفة وتقديم التأويلات التي تنم عن جهل - إن ضررها أفدح من ضرر الزُمَر الأخرى، بما في ذلك زمرة المنافقين، الأبناء المحبوبون للمهندس بازركان» («صحيفه امام» (صحيفة الإمام/ ج٢٠/ ص٤٨١). لاحظوا أن الإمام الراحل(ره) كان يأبى أن يقول: «نهضت آزادي» (نهضة الحرية)، بل يقول: «ما يسمى بنهضة الحرية»، لأنها - في واقع الأمر - كانت نهضة العبودية، لا الحرية!

لقد أودى مُضعِفو الولاية بالأمور إلى جعل الناس يقتلون الإمام الحسين(ع)/ نحن لا نريد أن نكون من مُضعفي الولاية

وليّ الأمة هو في قمة النجابة، ونجابته هذه هي أحد أسرار ظلامته. لقد أَودَى مُضْعِفو الولاية على مدى التاريخ بالأمور إلى جعل الناس يُقْدِمون هم على قتل الإمام الحسين(ع)! ونحن لا نريد أن نكون في عداد مُضعِفي الولاية. يقول الإمام الراحل(ره): «إن ضرر نهضة الحرية هو أشد من ضرر زمرة المنافقين الإرهابية»؛ أي أولئك الإرهابيون الذين قتلوا سبعة عشر ألفًا من أفراد الشعب. بعد اغتيال الشهيد المشير قَرَني (أعلى الله مقامه الشريف) أرادوا دفن جثمانه في مقبرة «بهشت زهرا» (جنة الزهراء (س))، فقال سماحة الإمام الراحل(ره): خذوه إلى مدينة قم وادفنوه عند مرقد السيدة فاطمة المعصومة(س) بجوار سماحة آية الله الحائري(ره)، مؤسس الحوزة العلمية بقم المقدسة. لقد كان عسكريًا عظيمًا. ينبغي لهؤلاء الشباب جميعًا أن يعرفوا المشير قَرَني. لماذا لا يُذكَر اسمه في المناهج الدراسية؟! كان الشهيد قَرَني الرجل العظيم الذي صانَ الثكنات العسكرية في أوائل أيام انتصار الثورة. وكان حبيس السجون لبضع سنين قبل انتصارها. وهناك أقوال بأن خطة اغتيال سماحة الإمام الخميني(ره) في النجف الأشرف - والتي تم رسمُها في أنظمة الجيش أيام الحكم الطاغوتي - كانت قد كُشِفَت وأُجهِضَت بمساعدته. وكان هو من حَشَد العسكريين وحثهم على الصمود بعد انتصار الثورة بوصفه إنسانًا وطنيًا. لماذا المشير قَرَني غير معروف إلا لنسبة ضئيلة من شبابنا؟ أيها الأصدقاء، يا من تثمّنون جهود الحاج قاسم سليماني كل هذا التثمين، لا تنسوا المشير قَرَني، فهو العزيز الغالي على قلوبنا.

فضح خيانة حكومة بازركان في كتاب استقالة الشهيد المشير قَرَني

كان الشهيد قَرَني قد كتب كتاب استقالة، إلا أن الإمام الراحل(ره) طلب إليه البقاء في منصبه. فدعاه السيد بازركان بعد بضعة أيام وقال له: «لقد تمت الموافقة على استقالتك». ومن بعد أن أصبح جليس الدار، قتلوه! جاء في كتاب استقالة الشهيد قرني: «على وتيرة يومية يُصدر نائب رئيس وزراء الثورة، الذي يرى نفسه المشرّع للقوانين والمالك للرقاب، ودونما التفات منه إلى مكانة الجيش وتجهيزاته، بل ومن دون مشاورتي أيضًا مع الأسف - يُصدر توجيهات تؤدي كل حين إلى ضربات مُوجِعة لمعنويات الضباط ووقوع كميات من السلاح والعتاد والأموال في أيدي الفاسدين والمرتبطين بالأجانب. إن وزير الدفاع يعمد - من دون التشاور معي وفي ما هو خارج عن نطاق صلاحياته - إلى التصريح بشكل غير مسؤول أمام الإذاعة والتلفزيون والصحافة من أن: الجنود في شهر فروردين [رأس السنة الشمسية] في إجازة! فتَترك تلك القلة القليلة من الجند، التي عمل الجيش بشق الأنفس على الاحتفاظ بها في الثكنات العسكرية – تَترك مواقعها في حراسة الثكنات عائدة إلى منازلها، وتتسلل تحت جنح الظلام عناصرُ من حزب «تُودَة»، المرتبطة بالسياسات الأجنبية، بشاحناتها إلى الثكنات فتشحن ما بقي فيها من الأسلحة والعتاد إلى خارج المدن. وهذا هو ما دعاني إلى الاستقالة». أي كانت الحكومة المؤقتة تعلن العطلة في الثكنات، ليتركها الجنود، فتأتي عناصر مرتبطة بحزب «تودة» لتشحن ما فيها من أسلحة وعتاد بالشاحنات وتأخذها إلى أماكن مجهولة! ويتابع الشهيد قرني في كتاب استقالته: «من دون استشارة قيادة الجيش وأعلى مرجع لتقييم الأوضاع في محافظة كردستان أرسلَت الحكومة وفدًا من المندوبين إلى المحافظة، حيث لدى وصولهم إليها وبعد أول إشاعات أطلقوها، دفعوا الأهالي إلى مداهمة ثكنة مهاباد العسكرية ونهبها، وإمطار قائد الثكنة بالرصاص أمام أنظار الوفد المذكور!» كان هذا الوفد المفاوض مرسَلًا من السيد بازركان للتفاوض مع الإرهابيين. فاشترط الأخيرون أن: «ليتم إخلاء الثكنة كي نتفاوض معكم». فطلب الوفد إلى آمر الثكنة إخلاءها. لكن الإرهابيين أَقدَموا بكل بساطة، بعد إخلاء الثكنة، على اختطاف آمِرها! ولدى وصول وفد الحكومة المؤقتة المفاوض قتلوا آمر الثكنة رميًا بالرصاص أمام الوفد! يقول الشهيد قرني: «هذه هي مواجعي...!» وإني لأطالب رئيس مجلس المحافظة أن يطالع تقارير والده وكتاباته حول خيانات بازركان.

الدور الرابع للإمام في خطاب الإنفاق هو تحديد مجالات الإنفاق وكونه صاحب السلطة على الأموال

وما هو الدور الآخر للإمام في موضوع الإنفاق؟ دوره الآخر هو أنه هو الذي يحدد مجال إنفاق الأموال وصرفها. بعد معركة حُنَين وحين أمر رسول الله(ص) بإعطاء أهل مكة الحظ الأوفر من الغنائم لأنهم جديدُو العهد بالإسلام، قال له حرقوص بن الزهير: «اِعدِلْ يا رسول الله»، فقد كان معارضًا لطريقة تقسيم الغنائم، وهذا أحد مواطن الامتحان. الامتحان الآخر هو أن الولي هو صاحب السلطة على أموال الناس، وأنه ينبغي أن يأخذ بعضَها لنفسه. لقد جاء الأمر إلى النبي الأعظم(ص) من الله عز وجل أن يهَبَ الأموال التي وقعت في يد المسلمين من دون قتال لفاطمة الزهراء(س)، فكان أن وهبها فَدَكًا. وأول ما حدث بعد رحيل رسول الله(ص) هو أنهم أخرجوا عُمّال السيدة الزهراء(س) من فدك واستولوا عليها. وعلى خلفية ذلك ضُرِبَت الزهراء(س) وحدث كل ما قد سمعتم به! وحين طالبت الزهراء(س) بفدك كان ردهم في بادئ الأمر أن: «النبي لا يُوَرِّث». وحين أثبتت(س) أن كلامهم لا أساس له من الصحة قالوا: «لقد جعلنا فدك من بيت المال لتُوزَّع على الناس، فما شأنُكِ ببيت المال؟! إنْ كنتِ تريدين بستانًا أعطيتكِ أنا واحدًا!» فتوجّهت الزهراء(س) إلى الناس مبيّنة لهم أنه يغصبُها حقَّها. لكن حق فاطمة الزهراء(س) كان قد قُسِّم وكان ينزل في بطون أولئك الناس جميعًا، فطأطؤوا رؤوسَهم. خاطبَتهم، سلام الله عليها، (بما مضمونه): أيها الناس، إني ابنة نبيكم، ولقد عاهدتموه أن تصونوا ابنتَه من بعده...! بهذه البساطة ترك الناسُ فاطمة الزهراء(س) وأمير المؤمنين(ع) غريبَين، بما وجدوا من ذريعة جيدة! وبعد عودتها إلى الدار قالت للإمام علي(ع): «لَيتَني مِتُّ» ولم أشاهد هذه المشاهد! أوَتكون فاطمة الزهراء(س) قد استُشهِدَت لأمر تافه؟ أهو موضوع بسيط يا ترى؟ أتدرون من هي الصِدّيقة الكبرى(س)؟ لقد قالت(س) بخصوص هذا الأمر: «لَيتَني مِتُّ»...! ففدَك إذن موضوع مهم. ألا يرتبط موضوع فدك بالشُحّ والإنفاق؟ ألم يكن الناس يدركون لماذا ينبغي لهذه الأموال أن تكون مِلكًا لابنة رسول الله(ص)؟!

مباشرةً بعد رحيل رسول الله(ص) اختُبِر الناس ببُخلهم مع فاطمة(س)

ليت الأئمة والأنبياء لم يتدخلوا في الشؤون المالية! فالرَدّ صعب! إننا إلى الآن لا نستطيع ذِكْر مصيبة فدك براحة بال! إلهي، أي امتحان هذا الذي أخضَعتَ الناسَ له؟! أخالفوا علي بن أبي طالب(ع) بعد وفاة النبي(ص) مباشرةً؟ الأسباب لمخالفتهم لعلي بن أبي طالب(ع) متشعّبة! ظَلَّ الإمام علي(ع) جليس الدار.. انتهت قضية عليّ(ع).. فانتفضت فاطمة الزهراء(س) منادية: أعطوني فدك! فماذا كانت مشكلتهم مع فاطمة(س)؟ ما الذي صنعَتْه(س)؟ أكانت قضيتها مالية؟ القضية أعقد بكثير من هذا. مباشرة بعد رحيل النبي الأكرم(ص) اخْتُبِر الناس ببخلهم مع الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء(س)! أتفقهون ما معنى هذا؟ يقول تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى» (الأنفال/٤١). أنصحكم أن لا تترجموا هذه الآية مَرّةً أمام أحد! فلقد ألّفَ بعضُ «المثقفين!!» كتبًا في هذا المجال!!...

ما هو محل ولي الله من مسألة الإنفاق؟/ لا بد للإمام من قدرة مالية

ما هو محل ولي الله من مسألة الإنفاق (بذل النفس، إنفاق المال)؟ دعوني أتلوا عليكم واحدة من بضع آيات قرآنية في هذا المجال: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافًا كَثيرَةً» (البقرة/٢٤٥)؛ يُقرِضُه (أي ينفق) من الأموال التي أعطاه هو (الله) له. هكذا يقول الإمام الصادق(ع)، في ما روي عنه، في تفسيره لهذه الآية: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ إِخْرَاجِ الدَّرَاهِمِ إِلَى الإِمَامِ، وَإِنَّ اللهَ لَيَجْعَلُ لَهُ الدِّرْهَمَ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ» ثم قال «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافًا كَثيرَةً». قَالَ(ع): «هُوَ وَاللهِ فِي صِلَةِ الْإِمَامِ خَاصَّةً» (الكافي/ ج١/ ص٥٣٧)؛ أي إنه أقسم على أن هذه الآية نزلت خاصّةً في دفع الأموال للإمام. أين يقف الإمام من موضوع الإنفاق؟ يروى عن الإمام الصادق(ع) قوله: «دِرْهَمٌ يُوصَلُ بِهِ الْإِمَامُ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ يُنْفَقُ فِي غَيْرِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلّ» (من لا يحضره الفقيه/ ج٢/ ص٧٣). فانظر حينئذ كم ستكون القدرة المالية للإمام؟

يقول تعالى في موضع آخر: «مَا أَفَاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُم» (الحشر/٧)؛ أي: إن ما يُعيدُه الله تعالى من أهل القرى إلى رسوله(ص) هو ملك لله ولرسوله ولأقرباء رسوله واليتامى والمساكين والمسافر المُنقطِع (الذي يريد الرجوع إلى بلده ولا يجد ما يتبلّغ به) كي لا يتناقَل أغنياؤُكم هذه الأموال الضخمة فيما بينهم. فلا بد أن تكون للإمام قدرة مالية.

ماذا نصنع لننجح مع الولي الفقيه في امتحان الولاية فنتدارك كل ما كان في التاريخ من نقص في ما يتصل بالإمامة؟

أتحبون أن يظهر صاحب الزمان(عج) ويحكم العدلُ الأرضَ؟ تعالوا إذن نجتاز بنجاح امتحان الولاية – الذي نعيش الآن مرحلة ولاية الفقيه منه – ونتدارك كل ما كان في التاريخ من نقص وخلل في ما يخص الإمامة: أولًا: كم قد نفَذَتْ ولاية الفقيه في أعماقك، وتغلغلت في حياتك الشخصية وفي نمط حياتك اليومي؟ دع العالَم كله يقول ما يشاء، واجعل نمط حياتك التالي: قُل مثلًا: أنا أتزوَّج لأن السيد القائد (الإمام الخامنئي) أوصى بذلك، أنا أُنجب أطفالًا أكثر لأن السيد القائد أوصى بذلك، أنا أمتنع عن شراء سلعة كذا الأجنبية لأن السيد القائد أوصى بذلك... ثانيًا أن نعمل على ترسيخ نفوذ الولي الفقيه في نفوس أفراد المجتمع. كيف؟ بأن نوضح وظيفة وأداء الولي الفقيه في الأمة. ذات يوم سأل طالب جامعي الإمام الخامنئي: ما البأس في أن يوجَّه إليك الانتقاد؟ فأجابه سماحة السيد القائد، بعد أن أوضح له أنه لا بأس في الانتقاد، وأن هناك الكثير ممن يتكلم وينتقد: «إذا كان الانتقاد بمعنى الانتقاص... أيُّ حُسْن ثمة في انتقاص القائد؟ أمن المصلحة أن يقف شخص أمام القائد ويتفوه ضده ببذيء الكلام، وهو الذي من المفترض - بحسب نظام الجمهورية الإسلامية - أن تكون إشارة واحدة من إصبعه كافية، في أحلك الظروف، لدفع الشعب إلى التضحية بالأنفس؟!» (في جلسة أسئلة وردود مع مسؤولي وأمناء المطبوعات الطلابية في ١٩٩٩/٢/٢٣). رد في منتهى البساطة والعقلانية والوضوح.

يـا أمـير المؤمنـين، لقـد كـسروا ظهـرك وجرحـوا قلبـك في قضيـة الغـارات في الشـام نفسـها فـصرتَ تنحنـي في البـئر مناديًـا! يـا أمـير المؤمنـين، لقـد أغـار الدواعـش في زماننـا هـذا، وفي الشـام نفسـها، فأُحبطـت غاراتهـم بإشـارة مـن الـولي الفقيـه عـلى يـد أمثـال الجـنرال سـليماني، والشـهداء حُجَجـي، وهمـداني، وخوشـنويس! أرأيـتَ سـيدي مـا سـطروا مـن بطـولات؟! هـذا ولم يأمـر السـيد القائـد حفظـه ولا مـرة بـأن: «توجّهـوا للقتـال!» ففـي زمـان الحـرب كان الإمـام الراحـل(ره) قـد دعـى بضـع مـرات إلى التوجـه إلى الجبهـات، أمـا في زمـن الـذود عـن الحـرَم والمقدسـات فلـم يَـدعُ السـيد القائـد لذلـك ولا مـرة! وهـذه تباشـير قـرب الظهـور. ثالثًـا: يجـب أن تقفـوا بـكل قـوة في وجـه نُخـب المجتمـع والخـواص والساسـة الذيـن يقومـون مقـام «مِفَـك البراغـي» تجـاه قـدرة الـولي وقوتـه لإضعافهـا، ولا تدعـوا أحـدًا منهـم يجـرؤ عـلى الدنُـو قيـد شـعرة مـن مقـام الـولي وحريمـه وحرمتـه.

إن جانبًا من عظمة عاشوراء هو رهنُ روعة التولّي

لقـد بلـغ الأمـر ليلـة العـاشر مـن المحـرم أن قالـت العقيلـة زينـب(س) لأبي عبـد اللـه الحسـين(ع): هـل أنـت مطْمَـئِن مـن أصحابـك؟ «هَـل اسـتَعلَمتَ مِـن أَصحابِـكَ نِيّاتِهِـم؟» ما معنى هـذا السـؤال؟ أي: أأنتَ واثـق مـن أنهـم غـدًا لـن يخذلوك ويـذروك وحيدًا؛ «فَـإِنّي أَخـشَى أَن يُسْـلِمُوك عِنـدَ الوَثبَـة!» فزينب(س) تذكـر خيانـة أصحـاب أبيهـا أمـير المؤمنـين وأخيهـا الحسـن المجتبـى(ع) لهـما. يـا حبيبـي يـا حسـين! أخـشى أن يغـدر بـك أصحابُـك غـدا فتذهـب ملحمتُـك العظيمـة أدراج الريـاح! فإنهـم الخـواص الدنيئين الوضيعـين الذيـن كانـوا مع الإمام الحسـن(ع) وأرادوا أن يُسْـلِموه(ع) هكذا إلى عـدوه! أعادت زينب(س) السـؤال: أأنـت واثـق مـن أصحابـك؟ فقـال لهـا الحسـين(ع): أجـل يـا زينـب، اطمَئِنّـي، إنني واثـق منهم؛ «واللـه لقـد بَلوتُهُـم فَـمَا وَجَـدتُ فيهم إلّا الأَشـوَسَ الأَقعَـسَ يَستَأنِسـونَ بِالمَنِيَّـةِ دُوني استِئناسَ الطِّفلِ إلَى مَحالِـبِ أُمِّـه» (مقتـل الحسـين للمُقَـرّم/ ص٢٢٦). إن جانبًـا مـن عظمـة عاشـوراء هـو رهـن روعـة التولّي والتمسـك بالولايـة هـذا، التـولّي عنـد الأصحـاب الذيـن كانـوا يتبـارَون للاستشـهاد في سـبيل مولاهـم!....